الفوضى الخَلاقة

مع نهايةِ القرنِ العشرين احتلت الولايات المتحدة الأمريكية مركزا مرموقا في النظام الدولي، لم يسبق أن احتلته أي من الإمبراطوريات عبر التاريخ، فبعد انتهاء الحرب الباردة أضحت الولايات المتحدة تتقدم على كل القوى الدولية الأخرى في المجالات الاقتصادية، والعسكرية والتكنولوجية، والثقافية والسياسية.

وكانت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة، كوندوليزا رايس، قد تبنت مفهوم : الفوضى الخلاقة ؛ وأوضحت لصحيفة واشنطن بوست عام ٢٠٠٥ كيفية انتقال الدول العربية و الإسلامية من الدكتاتورية إلى الديمقراطية حسب مرئياتهم معلنة أن الولايات المتحدة ستلجأ إلى نشر الفوضى الخلاقة في الشرق الأوسط، في سبيل إشاعة الديمقراطية.

(الفوضى الخلاقة) كنظرية ترى أن وصول المجتمع إلى أقصى درجات الفوضى متمثلة بالعنف و الرعب و الدم، يخلق إمكانية إعادة بنائه بهوية جديدة ويفصل النظام في الدول المستهدفة من جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والتركيبة الاجتماعية وغيرها؛ على النحو الذي يستقيم مع المقاصد والأهداف السياسية التي تتبناها الولايات المتحدة .

وبدأت العمليةِ تحت مسمى الربيع العربي المزعوم وحقق المخطط نجاحا باهرا لاسيما في ليبيا والعراق واليمن وسوريا ؛ ولولا التدخل الروسي والإيراني في سوريا لكان الوضع فيها قد انتهى كما انتهى في غيرها من دول الربيع العربي المزعوم.

وخضعت نظرية الفوضى الخلاقة في تنفيذها إلى مراحل سياسية شبهها بعض السياسيين بكرة الثلج التي يصنعها طفل صغير، قد تكون نتائجها كارثة من كوارث الطبيعة التي لا يمكن

إيقافها، ومن هنا فإن أي تغير طفيف يلحق بنظام سياسي مفتوح ومعقد قد يتحول إلى اضطراب هائل يغير ملامح ذلك النظام.

لكن أمريكا لن توقف كرة الثلج و لن تخفف من هول الاضطراب حتى وإن كانت قادرة على ذلك، طالما أن النتائج ستكون في مصالحها وتخدم مخططاتها.

وقد مرت الفوضى الخلاقة أثناء تنفيذها بمراحل متتابعة وفق أجندات مدروسة حتى آتت أكلها ولو بصورة غير مكتملة ثم عمدت إلى تثبيت الوضع الجديد بشكله النهائي، إلى جانب الاطمئنان لترسانة القوة العسكرية، والأساطيل الأمريكية في المنطقة، وهي أهم عناصر المعادلة التي تستند إليها الفوضى.

وعبر وسائل متعددة تعمد أمريكا لتحقيق تلك الرؤية وتحريك الفوضى الخلاقة بشكل عملي على الساحة الشرق أوسطية بواسطة أبناء الدول المستهدفة الذين خدموا هذه النظرية ودمروا بلدانهم بأيديهم فعاثوا فيها تقتيلا وتهديما وتشريدا حتى تغيرت الأحوال والأوضاع وبرزت حكومات جديدة ورثت الفقر والجوع والخراب

ومازالت الدول التي عصفت بها رياح الفوضى الخلاقة ترزح تحت طائلة الفوضى الاقتصادية بالدرجة الأولى باعتبار أن الاقتصاد عصب الحياة[1] .

---

(١) الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية.